الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حيرة الجيل الجديد في الأزهر

أمامي الآن كومة من رسائل الطلبة في كليات الأزهر ومعاهده، أمطرني بها البريد في هذين الأسبوعين منذ أثرت موضوع المؤلفات القديمة التي يعتمد عليها الأزهر في دراسة العلوم الدينية واللغوية. وقد عشت ساعات مع أصحابها في آلامهم ومشاعرهم وليست حالهم التي يصفون غريبة عني، فقد كنت قريباً منها ومررت بها وبلوتها، وأحمد الله على أن ضقت بها وطلبت منها الفكاك، وكان لي ما أردت، ولكن هذا الموضوع الذي أثرته في «الرسالة» وهذه الرسائل الكثيرة التي يتحدث إلي فيها هؤلاء الشباب حديث الصراحة والصدق والألم جعلتني أندمج في هذه المشاعر وأحس كأني معهم فيما يعانون.

هذا «جمعة الباكي» بعد «ضياء الحائر» وكلاهما في كلية الشريعة، يبكي جمعة مما يجد ضياء.. يبكي مما يلقاه في كتاب «الهداية» من أبواب العتق والتدبير والاستيلاد، ولا عتق ولا تدبير ولا استيلاد في هذا العصر، ويبكي من (التلويح على التوضيح على التنقيح) الذي تعاقب فيه ثلاثة، وصح ثانيهم ما نقح الأول، ولوح الثالث على توضيح الثاني، وقد نشط هؤلاء في التنقيح والتوضيح والتلويح من نحو سبعة قرون، لنعيش نحن الآن عالة على ما صنعوا بلا تنقيح أو توضيح أو حتى تلويح...

وهذا «أحد ضحايا السكاكي» بمعهد فاروق بقنا» يبدأ رسالته بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. لأنه يشعر أن الشك بدأ يداخله بعد أن قرأ كتاب «الجوهرة» في علم التوحيد! وقد كان من قبله قوي الإيمان، فأصبح لا يكتب رسالة إلا صدرها بالإقرار بالشهادتين ليطمئن نفسه بأنه ما زال مؤمنا... وهو يشكو من «السكاكي» وأقواله في المجاز العقلي مر الشكوى.

وكثير من الطلبة ينقلون إلي نتفا من تلك الكتب، يستدلون بها على ما فيها من تعقيد وعقم وبعد عن الحقائق العلمية المسلم بها في عصرنا ومما يجري في واقع حياتنا. يقول «ع. م. ج» بمعهد طنطا الثانوي»: إن في الأزهر كتبا يقول فيها أصحابها إن الأرض بحملها حوت اسمه بهموت! ويقول بعضهم في (تفسير النسفي) إن «ن» في قوله تعالى «ن والقلم وما يسطرون» هو اسم ذلك الحوت! ويورد (محمد عبد العزيز عمر الطالب بمعهد أسيوط) مسائل غريبة من الفقه، منها: مات رجل وترك نصف بنت أو نصف بنت الابن فما نصيب كل من الميراث؟! ومنها: لا يجوز لحيوان البحر أن يتزوج إنسية.. ومنها: لو وجد الانسان قشر رمان أو نواة ملقاة على الأرض يجب عليه أن يحتفظ بها وينادي على صاحبها أربعين يوما! وأقول إنه لن يترك أحد نصف بنت، ولن يجرؤ «السيد قشطه» على أن يخطب بنت حارسه في حديقة الحيوان، ولكن الذي ينادي على من فقد قشرة رمان ومن سقطت منه نواة، فانه سيقضي بقية الأربعين يوما وما بعدها في مستشفى المجانين بالعباسية، ما في ذلك شك. وقد ذكر أيضا فرضا فقهيا مضحكا تمنع الآداب العامة من نشره. وجاءت هذه المسائل أيضا في رسالة «سلطان بمعهد أسيوط» ويستدل (ح ى ع بمعهد الاسكندرية) على ما يعيي الطالب الصغير من الخلط بين

كما ستفنى الجموع تفنين يا جاهله
تمضي وما من رجوع قافلة ... قافلة
أما كرهت الهجوع والوحدة التامة
انطلق فالربيع أفراحه حافله

***

يا نفس كفي الانين واحتفلي بالنغم
هذا المساء الحزين يرمي إليك السأم
مالك لا تهجعين وتقبرين الندم
يا نفس ولى الشتاء واستيقظ البرعم
هيا لرشف الضياء صفيك الملهم
لبى السنا والسناء ليلك لا يرحم
روحي تهوى الصفاء وهي به تحلم
فضمها باشتهاء يا غيم يا أنجم

مسائل الفقه والنحو والصرف ، والتاريخ بعبارات لا يستطيع إلا حفظها من غير فهم، قال المصنف فى المتن « العاقلة أهل الديوان» فجاء صاحب الحاشية يقول شارحا : « وهم الجيش الذين كتبت أسماؤهم فى الديوان ، وهو جريدة الحساب ، وهو معرب ، والأصل دوان فأبدل من المضعفين ياء للتخفيف ولهذا يرد فى الجمع إلى أصله فيقال دواوين ويقال إن عمر رضى الله عنه أول من دون الدواوين فى العرب أى رتب الجرائد للعمال كما فى المصباح » ثم قال المصنف « يؤخذ ذلك من عطاياهم » فجاء صاحب الحاشية يشرح : « جمع عطاء وهو اسم لما يخرج للجندى من بيت المال فى السنة مرة أو مرتين والرزق ما يخرج لهم فى كل شهر وقيل يوما بيوم جوهرة لأن إيجابها فيما هو صلة وهو العطاء أولى من إيجابها فى أصول أموالهم لأنها أخف وما تحملت العاقلة إلا للتخفيف » وإنى والله لأعجب أشد العجب، لا من مؤلفى هذه الكتب، فقد كانت تلك مسائلهم ، وكان ذلك عصرهم وطابعهم العلمى ، ولكن العجب من هؤلاء « المعاصرين» الذين يقولون بأن هذه الكتب تقوى المدارك وتنمى المواهب ! لنفرض أن المعجزة وقعت وفهم الطالب الصغير تلك العبارات ، فما هو الخير الكثير أو القليل الذى يحصل عليه منها ! وكيف يوفق بين ما تدل عليه من أن الذين يتحملون دية القتيل هم زملاء القاتل فى الجيش ، وبين ما يجرى عليه معالى الفريق حيدر باشا فى تنظيم الجيش المصرى الحديث ؟ فهل هذا يقوى المدارك والمواهب أو يحيرها ويحطمها ؟ لكم الله أيها الحائرون !

ويعجب « ح س ع » أيضا من إصرار كتب الصرف على تصغير « قهبلس وشمردل وهيبخ وحينطى » وحق له العجب ، فهو إن عرف مدلولات هذه الكلمات فانه لا يجدها فى حياته مكبرة أو مصغرة ، ولو نطق بها فى خارج الأزهر لسخر منه الناس

ويقول عبد العزيز محمد قاسم بكلية الشريعة : « إن الطالب فى كلية الشريعة يدرس المعاملات ضمن مقرر الفقه ، ولا تظن ياسيدى أنه يعرف شيئا مما حدث ويحدث من معاملات فى أيامنا ، وأقرب مثال لهذا أننا ندرس (الشركة) وكل ما نعرفه أنها تنقسم إلى عنان ووجوه ومفاوضة ، أما الشركات المساهمة وشركات التأمين وغيرها من الشركات القائمة وهل هذه تدخل تحت تلك وما حكم هذه الأنواع فى الشريعة الاسلامية ، فكل هذا لا نعرف عنه شيئا » .

ويعبر « حسين على ريحان بمعهد الأسكندرية » عن متاعبه فى تلك الدراسة بعبارات شاعرية مؤثرة ، ويعتب على الأستاذ « دنيا » لأنه « وصف ما يقوى السمال لا ما يزيل الصداع » ويدعو الله أن يسامحه .

وفى الرسائل نقد لاذع للأساتذة والرؤساء ، على نحو ما بين الأساتذ « أزهرى عجوز » فى العدد الماضى من « الرسالة » ويلمع بعضه حد العنف ، ويدل ذلك على روح السخط الشامل ، كما يدل على الهوة السحيقة التى تفصل العقلية الجديدة عن العقلية القديمة . وينصف بعضهم الأساتذة الذى تخرجوا حديثا ، يقول (م.م.ح . بكلية اللغة العربية) : « ومع ذلك فهناك طائفة من الأساتذة التى تخرجت حديثا ولم تحرم نفسها من الاعتراف من منهل الثقافة العصرية والعلوم والمعارف الحديثة . هذه الطائفة وإن تكن قليلة جدا فى هذا الجيش اللجب إلا أنها يرجى منها الخير وينتظر على يدها الإصلاح لو سلم لها زمام القافلة وشاركت فى إدارة الأزهر، ولكن متى يتاح لها ذلك ؟ إن كل من يشتم منه رائحة التجديد والإصلاح فى الأزهر يقصى إقصاء تاما ... الخ »

والرسائل على العموم ناطقة بروح التوثب والتطلع إلى مجاراة العصر ، وفى كثير منها رغبة حارة فى تعلم اللغات الأجنبية . وهى فى مجملها تدل على وعى وحسن تقدير للأمور ، وفيها شعور بالمدى الواسع بين ما يُقضى عليهم به من « النفق العقلى » إلى عصور التأخر التى ألفت فيها تلك الكتب وبين ما يجدونه من تقدم العصر فى العلوم والفنون والآداب ، وفيها غير ما أشرت به من الملاحظات السديدة ، وهناك رسائل أخرى كثيرة عدا ما أشرت إليه ، ويؤسفنى أن تحول دون عرض كل ذلك حشية الاطالة .

وبين هذه الرسائل الكثيرة رسالتان من طالبين « مجتهدين» أحدهما « محمد السعيد بكلية الشريعة » وهو يرجع شكوى « صياء الحر » إلى قرب الامتحان وإهماله الاستذكار فى أثناء العام الدراسى ... ويقول إن رسالة الأزهر هى المحافظة على هذا القديم . والثانى « مأمون يس عبدالله بمعهد أسيوط » وهو يقول: لا تلوموا العلوم نفسها ولوموا إن استعصمتم من زادها تبعيدا عن

مشايخنا المدرسين ، فذلك قول الحق الذى فيه تمترون » ويقول « فإن أنكرتم بعد هذا قولى وقلتم أساطير الأولين اكتتبها ، فتقبوا فى الوجود عن عباقرة الأدب العربى ثم ارجعوا إلى وهاتوا ما عندكم من علم إن كنتم صادقين» سائلوا العقاد العالم والدكتور طه عميد الأدب والأستاذ أحمد حسن الزيات أمير البيان ؛ هل منهم من لم يقرأ كتب الأزهريين، لا ، لا تسألوا هذا ولا ذاك فقد حكمتم حكما قديرا ، ما إخاله إلا وقرأ كتبكم وزيادة عليها ، إلا وهو الأستاذ عباس خضر (حفانا الله من شر توانى !) وإنا منتظرون »

حقا — يا سيدى عبدالله — إن هؤلاء قرأوا كتب الأزهر ومنهم من كان فى الأزهر فعلا ، ولكنهم ضاقوا بها وكان لهم عراك معها ، وقد خلصوا منها إلى الأدب والثقافة المصرية ، ولو أنهم ظلوا عاكفين عليها لكانوا كمن ذكرت من المشايخ ، ولكن الله سلمهم ، فكانوا من المنتجين النافعين، نفعنا الله بآدابهم آمين ذلك كله ، وفى النفس بقية

مناظرة فى الحياد والتكتل

أقام الاتحاد العام لجامعة فؤاد الأول يوم الأربعاء الماضى بدار الحكمة مناظرة برياسة معالى الدكتور محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية ، موضوعها « من مصلحة مصر التمسك بسياسة الحياد فى الوقت الحاضر » أيد الرأى سعادة الأستاذ فكرى أباظه باشا والأستاذ أحمد هيكل والآنسة ثريا الحكيم ، وعارضه الأستاذ حسين كامل سليم بك والأستاذ ثروت أباظه والآنسة ثريا الجبالى

ويخيل إلى أنى لمحت « بين سطور » هذه المناظرة معانى قد تكون مقصودة الموضوع من موضوعات الساعة ، والرئيس وزير الخارجية ، والوزارة وزارة شعبية ، فهل أريد درس المسألة على نمط أدبى، ومعرفة رأى جمهور من المثقفين؟ أولا يدل قيام المناظرة على أننا الآن غير مرتبطين عا يجعلنا مع هؤلاء أو هؤلاء ، وإنما نحن، وقد أبطلنا ما استنفد أغراضه ، نبرر رأى فيما ترى المصلحة فى الأخذ به .

بدأت المناظرة بكلمة الأستاذ معروف نافع رئيس لجنة المناظرات والمحاضرات باتحاد الجامعة ، فأعرب عن اغتباطه لتقدمنا فى الديمقراطية حتى صار الوزير يرأس المناظرات العامة ، ثم أراد أن يقدم المتناظرين ، ولكن الرئيس نهض قائلا : يظهر أن ديمقراطيتنا وصلت إلى أبعد من رآسة الوزراء للمناظرات، وصلت إلى أن يهمل الوزير وهو رئيس المناظرة فلا يترك له حتى أن يرد على الشكر ..

واتبعت طريقة جديدة فى تقديم المتناظرين، فابتدىء بالأقل.. وقد حار الأستاذ نافع فى التمييز .. فأسعفه أحدهم قائلا : الأقل سنا ، وجاء ترتيب الأستاذ فكرى أباظه باشا فى الآخر ! فهل كان ذلك مدعاة لشافعيته ؟

وقد وفق جميع المتناظرين فى تناول الموضوع ، وكان حديثهم منسقا ، وعباراتهم فصيحة ، وخطابتهم بارعة ، وكانت الآنستان مدعاة للاعجاب ، وخاصة الآنسة ثريا الحكيم فهى خطيبة معبرة بنبرات صوتها وحسن جرسها مع فصاحة فى النطق والتعبير . وكان من مظاهر الديمقراطية فى المناظرة أن اتخذ الأستاذ ثروت أباظه مكانه فى الصف المعارض أمام عمه فكرى أباظه باشا ، وقد جال جولته فى موقف خطابى بارع ، ولكنه لم يسلم من طعنات عمه التى سددها إليه وإلى زميلته الانسة ثريا الجبالى ، ولم يكف فكرى باشا عن الخطابة بعد أن جلس .. فقد كانت إشاراته الصامتة الناطقة تدحض كل حجة يأتى بها معارضه حسين كامل سليم بك وكان الأستاذ أحمد هيكل لبقا عند ما قال إنه واثق من وطنية المعارضين وأنهم يرون فيما بينهم وبين أنفسهم ضرورة الحياد ولكنهم يريدون أن يهيئوا الفرصة لمناقشة كل ما يمكن أن يقال فى معارضته .

وقد كانت حجة المؤيدين — على وجه الإجمال — أننا لا مصلحة لنا فى الانحياز إلى أحد ، وأنه من الخير لنا ألا نعرض أنفسنا للأخطار والأضرار التى تأتينا من الجهة التى ننحاز ضدها، وأن خطر الحرب والاعتداء علينا محقق إذا انضممنا إلى أى فريق ولكنه متوهم إذا وقفنا على الحياد ، فكيف نسعى إلى الضرر المحقق خوفا من المتوهم ؟ وأن موقع مصر فى مفترق الطرق بين أمم العالم، وموقع قناة السويس منها، يحتم لسلام العالم أن تكون مصر محايدة ، ومن الظلم أن تقوى جانبا لهزم آخر لا جريرة له عندها . وضرب المؤيدون الأمثال بالأمم المحايدة ، مثل تركيا وسويسرا وأسبانيا ، التى تجنبت بحيادها ما لحق بالأمم المحاربة من الخراب والتدمير . وقد تساءل فكرى باشا: إلى من ننحاز؟